نداءات المثقفين الفرنسيين !!

كثيراً ما أقرأ في الصحف الفرنسية نداءات من المثقفين الفرنسيين من أجل مسجونين أو معتقَلين أو مضطهَدين في هذا البلد من بلدان العالم أو ذاك .. وأجد تحت هذه النداءات تواقيع –لا يكاد يختلف معظمها– لمفكرين وأدباء معظمهم من الماركسيين واليساريين ..

وهؤلاء المفكرون والأدباء يتحركون باسم الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان

وأنا من حيث الأصل بجانب كل صوت يرتفع دفاعاً عن الحرية وحقوق الإنسان في عصر كثر فيه عدوان القوى الباغية على الحرية وحقوق الإنسان في كل مكان ، وسكتت عن إنكار هذا العدوان الألسن والأقلام رهبة أو رغبة أو عدم شعور بمسؤولية الإنسان عن أخيه الإنسان ، وعن القيم العليا التي يصبح المجتمع البشري دونها كمجتمع الغاب

ولكن الذي ألاحظه أنّ هؤلاء المثقفين الفرنسيين لا يكادون يتحركون إلاّ دفاعاً عن ماركسيين أو يساريين آخرين ، كأنّ غير الماركسيين واليساريين ليسوا بشراً يستأهلون أن يُدفع عنهم الظلم والعذاب والموت في بعض الظروف ، وكأنّ الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان ليست عندهم أكثر من شعارات يرفعونها عندما يريدون وينسونها عندما يريدون ، بل إنّ الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان تلغى أحياناً من الوجود إن كان رفاقهم الماركسيون واليساريون حاكمين لا محكومين ، وظالمين لا مظلومين ، ومضطَهِدين –بكسر الهاء– لا مضطهَدين .. وإلاّ فلماذا لم يرفع هؤلاء المثقفون في مناسبات كثيرة صارخة أصواتهم بالدفاع عن ألوف وألوف من المسجونين والمعتقلين والمضطهدين الآخرين غير الماركسيين واليساريين ؟! بل لماذا لم يرفع هؤلاء أصواتهم دفاعاً عن شعوب بكاملها تحكم بالحديد والنار ، وتقاد بالسلاسل والسياط كما يقاد العبيد ؟!

ألم يسمع هؤلاء المثقفون الفرنسيون مثلاً بحرق (الإنسان) أخيراً في الصومال !! لأنه تجرأ فأبدى رأيه بشكل سلمي في أمور كان من حقه وواجبه أن يقول فيها ما يعتقده أنه الحق والصلاح ؟! ولم يسمعوا يا ترى بمن سُجن ومن عُذِّب ومن ينتظر دوره هناك من جمهور الناس

إنّ العالم يحتاج في هذه الظروف العصيبة إلى أحرار حقيقيين من كل مكان ، يقفون مع الحق والعدل في كل مكان ، ويدافعون دفاعاً مخلصاً عن الحرية حيثما تُسلَبُ الحرية ، وعن حقوق الإنسان حيثما تنتهك حقوق الإنسان ، لا يفرقون في ذلك بين بلد وبلد وشخص وشخص ووضع ووضع

وما أحرانا نحن المسلمين أن نأخذ مكاننا الأساسي في هذا الميدان ، وما أحرى مثقفينا ومفكرينـــا وأدباءنـــا أن يرتفعوا بمستواهم إلى أعلى ما يستطاع ليكون لهم أيضاً أثرهم العميق ، ووزنهم الكـــبير ، وكلمتـــهم المـــسموعة في العالم ، في هذه الأمور وفي كل الأمور

ولا يجوز لنا أن نبقى هكذا مكشوفين ، وفريسة سهلة لكل عدوان أثيم ، لا يرتفع بالدفاع عنا صوت مسموع ، ولا يبلغ ما يصيبنا آذان العالم الكبير ، ولا يهز ضمائر البشر الذي يستحقون هذا الاسم